

الفصل الأول مدخل إلى التفكير الجماعي

يرلى (yearley - ١٩٩٥) بأنه مجموعة استراتيجيات يعرفه إيجابية في الشخصية توجد بدرجات متفاوتة عند البشر منها: الذكاء الوجداني والاجتماعي والرضا والميل والرغبة والتفاؤل - وتقبل الذاتية غير المشروط والكفاءة الشخصية وتحقيق الذات المشاركة الوجدانية والقدرات الخاصة المواهب والمهارات والسمات الوجدانية والتفتح والانفتاح على الخبرة والحكم الأخلاقي ومهارات التفاعل الاجتماعي والتسامح والإبداع والحكمة والتطلع نحو المستقبل والتلقائية - والعطاء والتشجيع على النزعة لممارسة سلوكيات وتصرفات تجعل حياة الأفراد ناجحة وتقودهم إلى أن يكونوا إيجابيين وأكثر مسئولية وإثارية وتحفزاً وإنتاجياً وابداعاً - أي أن التفكير الجماعي محصلة ثمرة تفكير مجموعة من الأفراد في مشكلة معينة في أي مجال من مجالات الحياة.

وإذا تناولت المصطلح من الجانب الفلسفي: نجد أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) يرى أن للإنسان جانباً عاقلاً يستطيع به السيطرة على ميله الشهواني، فالإنسان الفاضل يتميز بمعرفته بالفضيلة التي بها يتحسن سلوكه ويسمو فوق غرائزه وانفعالاته لأنها السبيل للحياة الطيبة

(مارتن سليجمان: ترجمة صفاء الأعرس وآخرين) (محبات أبو عميرة،
١٩٩٧).

والتفكير الجماعى فى الشخصية تناولته النظرية السلوكية
والبنائية والإنسانية والتحليل النفسى: ف «يونج» تحدث عن النمو
والكمال الشخصى والروحى والذكاء الروحى.
أما «وليم جيمس» تحدث عن الصحة العقلية باعتبارها ملامح
إيجابية للإنسان.

أما (آدلر) فذكر أن الإنسان لديه التوجه ليصبح أفضل وأحسن بما
هو عليه الآن من خلال ما لديه من دوافع القوة والمكانة التى لها أكثر
من مغزى وأهمية للسلوك، وأن اتجاهات التفوق كصور من التعويض
عن إدراك النقص، أما: «ماسلو» و«كارل روزجرز»: فيؤكدان على أن
الطبيعة الإنسانية إيجابية وخلاقة تسعى للنمو بما لها من إمكانات
هاذلة على النمو الشخصى بدلاً من دراسة المرض، كما وضع (ماسلو)
نظريته الهرمية عن الدافعية الشخصية التى تضم أعلى القدرات
والمكانيات؛ فالإنسان يولد مزوداً بالحب والارتقاء، ولديه قوة
لتوجيه حياته والقدرة على تحقيق السعادة وأمله فى الحياة.

ويجمع التفكير الجماعى بين الاستراتيجيات الإيجابية فى
الشخصية موزعة على ٦ فضائل هى [الحكمة - المعرفة - الشجاعة -
الإنسانية - العدل والاعتدال النفسى - الروحانية والتدين] وإن هذه
الاستراتيجيات تساعد الأفراد على تحمل التحديات المختلفة وتخطى

الفضل وصعوبات الحياة (عبدالمرید قاسم، ٢٠٠٩، ص ٦٩١ - ٧٨٣).
ولاشك أن الإنسان المعاصر يعيش عالماً متغيراً سريعاً في إيقاعه،
حيث يتطلب منه مجموعة من المهارات المعاصرة التي يجب أن
يملكها لتكون خير تمثيل لمهارات التفكير الجماعي؛ ليصبح له
القدرة والاستطاعة على التعامل مع هذه المتغيرات السريعة والتي تؤثر
مباشرة في حياته اليومية.

فالتفكير الفردي أصبح ضعيفاً، أما التفكير الجماعي فهو الأقوى؛
فيجب أن ينعكس تفكير الفرد داخل تفكير الجماعة، حيث تعد
مهارات التفكير الجماعي من أهم المبادئ التي يجب أن نبني عليها
النهج الدراسية؛ لأن ذلك يسهم في تشكيل قدرات المتعلمين ويجعلهم
قادرين على التعامل بإيجابية مع البيئة التي يعيشون فيها ويساعدهم
على إمكانية استغلال قدراتهم في تنمية المجتمع المحلي (إبراهيم
الغازي، ٢٠١١).

ويؤكد (ستير نبرج) ذلك في مقولته «إن المعارف مهمة بالطبع
ولكن غالباً ما تكون قديمة أما مهارات التفكير الجماعي فتظل جديدة؛
حيث تمكننا من اكتساب المعرفة واستدلالها بغض النظر عن الزمان
والمكان (فتحي جروان ١٩٩٩ ص ١٦).

كما شهدت العقود الثلاثة الماضية اهتماماً تربوياً متزايداً بالتفكير
وأنماطه المختلفة بصفة عامة والتفكير الجماعي بصفة خاصة؛ حيث
ظهر نتيجة لذلك اتجاهان أساسيان: الاتجاه الأول: يطالب بتعليم

وتنمية التفكير كمادة أساسية من المواد الدراسية المقررة، حيث يتعلم الطلاب [مهارات التفكير - ماهية التفكير - تطبيق مهارة التفكير في الحياة اليومية وخاصة مهارات التفكير الجماعى مما يهيئ للمتعلم النجاح فى حياته وأن يكون عنصراً فعالاً فى عمله ومجتمعه.

أما الثانى: فيطالب باستخدام التفكير كاستراتيجية للتعليم والتعلم وتطوير مواد التعليم لتبنى على أساس أنشطة التفكير تتخلل المواد الدراسية وليست نشاطاً مستقلاً (عبدالله النافع، ٢٠٠٦)

ولقد بدأت كل من: (ماليزيا وسنغافورة) فى أواخر القرن العشرين فى إدخال مقررات مهارات التفكير بصفة عامة والتفكير الجماعى بصفة خاصة فى مناهج التعليم والمقررات الدراسية، وتدريب المعلمين على استخدام طرق التدريس التى تساعدهم على تنمية مهارات التفكير العليا مثل: الإحساس- الانتباه - الإدراك - الخيل - التحليل - التركيب الإنتاج وإنتاج الأفكار والتأليف (Rojend ran- ٢٠٠١) ومن الدول العربية دولة الإمارات التى أدخلت مقررات التفكير بصفة عامة ومهارات التفكير الجماعى والناقد كمتطلبات تعليم عام إجبارية فى مرحلة التعليم الجامعى.

ويشير «ستيرنبرج ١٩٨٨» أنه يجب أن تحتوى برامج تعليم وتنمية مهارات التفكير الجماعى على القدرات العقلية والخصائص السيكولوجية الوجدانية للأفراد.

كما يرى «ستيرنبرج» أيضاً فى ضوء نظرية التحكم العقلى الذاتى

أن مهارات التفكير متوسطة الذكاء والشخصية، وأن طريقة استخدام الأفراد لقدراتهم يجب أن تماثل وتناظر مهارات تفكيرهم. ويعتبر تنمية مهارات التفكير الجماعى هى الاستثمار الحقيقى؛ حيث تساعد التنمية فى استثمار الأفراد لما لديهم من مصادر معرفية ووجدانية؛ فالتفكير الجماعى يشمل القدرات العقلية والمعرفة والمعلومات والسمات الوجدانية، ويوفر الدافعية للأفراد من أجل تحقيق هدف معين.

وإن فعالية التدريس لم تعد مرتبطة بطرق التدريس الأمثل ولكنها ترتبط بمهارات التفكير الجماعى المفضلة لدى المتعلمين (Sternberg- ٢٠٠٣).

ويرى سقراط (٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م) أن الفضيلة تكمن فى تفكير الأفراد، ومتى بذل الأفراد مجهودات عقلية فى اختيار السلوك الأفضل فى أى موقف من المواقف استطاع أن يدرك الخير، وطريق الفضيلة يتناسب مع جوهر هؤلاء الأفراد.

أنماط التفكير

ويعتقد الكثير من السيكولوجيين أن العديد من المشكلات تنشأ من التفكير غير الوظيفى، خاصة التشوهات المعرفية التى تقوض الفاعلية الشخصية، وقد تودى إلى صور من الاكتئاب. ولقد عدد ديفيد بيرنز (David Burns- ١٩٨٠) عشرة مجموعات من التفكير غير

الوظيفي (Dysfunctional thinking) والتي يحتاج الناس إلى أن يوجهوها وأن يستبدلوا بها أفكارًا أكثر عقلانية، وهذه المجتمعات العشرة ترجمة: (صفاء لأعسر وعلاء الدين الكفافي، ٢٠٠٠، نقلًا عن محمد السيد صادق، ٢٠٠٧).

أنماط التفكير غير الوظيفي (Dysfunctional Thinking)

النمط الأول: تفكير الكل أو اللاشيء: (All-or nothing thinking): أن يرى الفرد المواقف من الأولوية الإيجابية الكاملة، أو من الزاوية السلبية الكاملة، مثلاً: إذا لم تكن النتائج كاملة فإن الشخص يراها فشلاً كاملاً.

النمط الثاني: تفكير التعميم الزائد: (Overgeneralization Thinking): أن يعمم الفرد فشلاً خاصاً أو نتيجة سيئة ارتبطت بموقف معين وجعلها نمطاً عاماً ونهائياً.

النمط الثالث: تفكير الترشيح العقلي: (Mental Filtering Thinking): أن يبقى مدققاً على إحدى التفاصيل السلبية، ومن هنا يشوه كل الجوانب الأخرى من الواقع.

النمط الرابع: تفكير التغاضي عن الإيجابيات: (Disqualifying Popsitive Thinking): أن يستبعد الفرد عند التقييم تقدير الخبرات المجزية والتي تستحق المكافأة.

النمط الخامس: القفز إلى النتائج: (Jumping to Conclusions Thinking): أن ينتهي الفرد بسرعة إلى استخلاصات ونتائج سلبية

عن المواقف حتى ولو لم تظهر أدلة كافية على ذلك.

النمط السادس: تفكير التهويل أو التهوين (Mangnifying and or Minimizing thinking): أن يعمد الفرد إلى المبالغة في

تعظيم العوامل السلبية وأن يقلل من أهمية العوامل الإيجابية.

النمط السابع: التفكير الانفعالي: (Emotional Thinking):

أن يفسر الفرد الواقع من خلال نظرة انفعالية سلبية.

النمط الثامن: تفكير الينبغيات: ("Should" Statements):

الفرد الذى يستخدم دائماً فى حديثه عبارات ينبغى أن تكون جماعية لا ينبغى أن تكون فردية، ومن الحتمى، وغيرها من العبارات ليجبر فرداً على أن يعمل عملاً معيناً.

النمط التاسع: النونة السيئة: (Labeling and Mislabeled thinking):

الفرد الذى يستخدم على نحو تلقائى «العناوين والأوصاف السلبية لوصف نفسه ووصف الآخرين ووصف الأحداث فيقول مثلاً: «إنه غشاش»، «إنها جلسة تدريب تافهة لا تستحق».

النمط العاشر: التشخيص: (Personalization Thinking):

الفرد الذى يلوم نفسه على أحداث أو نتائج سلبية لم يتسبب فيها، بل تسبب فيها الآخرون.

لقد طرح المربون والمهتمون بالتفكير وأنماطه ومهاراته تعريفات عدة لهذا المفهوم المهم وللمهارات المنبثقة عنه، بحيث يصعب استيعابها أو تعلمها أو تعليمها دون إدراك المعنى الحقيقى للتعريفات المتعلقة بها

وفهم ما تقصده تماماً قبل أن يتم البناء عليها من حيث أهمية تدريس التفكير ومهاراته المتنوعة، والأهداف التربوية المنشودة التي تسعى لتحقيقها ومجالات تطبيقها فى المنهج المدرسى أو فى الحياة اليومية، وخطوات تنفيذ هذه المهارات وإجراءات تعليمها، وربطها بجوانب المواد الدراسية المختلفة، والخلفية المعرفية لها وحتى يتم فهم ذلك كله، فإنه لا بد من طرح التعريفات العديدة التى اقترحها المتخصصون لكل من التفكير أولاً ومهارات التفكير بصورة عامة ثانياً وأنماط التفكير ثالثاً وتعريف كل مهارة من مهارات التفكير المتنوعة رابعاً.

تعريفات التفكير :

ولقد عرف «باير» (BEYER ٢٠٠١) التفكير بأنه عبارة عن عملية عقلية يستطيع المتعلم عن طريقها عمل شىء ذى معنى من خلال الخبرة التى يمر بها.

أما «ويلسون» (wilson ٢٠٠٢) فيعرفه بأنه يمثل عملية عقلية يتم عن طريقها معرفة الكثير من الأمور وتذكرها وفهمها وتقبلها.

أما «هايمان» : اعتقدت هايمان وزميلها سلوميكانو (Heiman& slomianko ٢٠٠٢) فيعرف التفكير بأنه عملية نشطة تشتمل على أحداث كثيرة تتراوح ما بين الأحلام اليومية العادية والبسيطة إلى حل المشكلات الصعبة والمعقدة وأنها، تشكل حواراً داخلياً مستمراً ومصاحباً لأفعال متعددة، مثل القيام بواجب معين أو ملاحظة منظر ما أو التعبير

عن وجهة نظر محددة.

ثم قام بعض علماء النفس بتعريف التفكير على أنه ما يجول في ذهن من عمليات تسبق القول والفعل، بحيث تبدأ بفهم ما نحس به أن ما نتذكره أو ما نراه، ثم نعمل على تقييم ما نفهمه، محاولين حل المشكلات التي تعترضنا في حياتنا اليومية، في الوقت الذي يؤكد فيه بعضهم على أن التفكير يمثل سلسلة من الأنشطة العقلية غير المرئية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لثير يتم استقباله عن حاسة واحدة أو أكثر من الحواس الخمس، وذلك بحثًا عن معنى محدد من الموقف التعليمي المطروح أو الخبرة التعليمية المتوفرة، وباختصار فإن التفكير عبارة عن مفهوم معقد يتألف من ثلاثة عناصر تتمثل في العمليات المعرفية المعقدة وعلى رأسها حل المشكلات، والأقل تعقيدًا كالفهم والتطبيق، بالإضافة إلى معرفة خاصة بمحتوى المادة أو الموضوع مع توفر الاستعدادات والعوامل الشخصية المختلفة ولاسيما الاتجاهات والميول (محمد البائع محمد، ٢٠٠٥).

كما توجد أنماط عديدة للتفكير لا بد من تعريفها بدقة أو توضيح معناها الحقيقي من أجل الاطلاع عليها والتعمق في معناها: (كما أشار بعض علماء النفس المعاصرين مثل صفاء الأعسر، علاء الدين كفاي، فؤاد أبو حطب، محمود منسى، حسين كامل، محمد السيد الصادق، مجدى حبيب، وعبد الوهاب كامل وخيرى المغازى ومحمود منسى وغيرهم).

١- التفكير العلمى Scientific Thinking الذى يعتمد على

الأسلوب العلمى أو وجهات النظر العلمية مثل الواقعية والطبيعية والتربوية والتجريبية والإيجابية.

٢ - التفكير التجريبي أو الإمبريقي **Empirical Thinking** الذى يعتمد على التجربة والبيانات المأخوذة من الملاحظة العلمية.

٣ - التفكير المجرد **Analyt Thinking** ويقوم بتجزئة المادة التعليمية إلى عناصر ثانوية أو فرعية وإدراك ما بينها من علاقات أو روابط، مما يساعد على فهم بنيتها والعمل على تنظيمها فى مرحلة لاحقة.

٤ - التفكير التركيبى **Synthetic Thinking** ويقوم على وضع أجزاء المادة التعليمية مع بعضها فى قالب واحد أو مضمون جديد، وهو على العكس تماماً من التفكير التحليلى الذى يقوم على تجزئة المادة التعليمية إلى عناصر صغيرة وإدراك ما بينها من علاقات.

٥ - التفكير المطلق **Concrete Thinking** الذى يتضمن أن يكون المرء غير متأثر بالذاتية والمصادر التجريبية أو التجارب العلمية والخبرات العاطفية، ويسمى بالتفكير الخالص والنقى الذى يعمل على فهم الكل أكثر من فهم الأجزاء.

٦ - التفكير المنطقى **Logical Thinking** يعتمد على قواعد وقوانين الفكر الذى يفترض وجود تفكير فلسفى خال فى الأخطاء المنطقية.

٧ - التفكير الفلسفى **Philosophical Thinking** يركز فى كثير من جوانبه على قضايا ما وراء الطبيعة.

٨ - التفكير الناقد **Critical Thinking** الذى يتضمن التقييم والمتضمن للتحليلات الهادفة والدقيقة والمتواصلة لأى ادعاء أو معتقد ومن أى مصدر من أجل الحكم على دقته وصلاحيته وقيمته الحقيقية وذلك بحسب «باير»، أما «ليبمان» فيعرفه على أنه نمط من أنماط المسئولية المعرفية.

٩ - التفكير الإبداعي **Creative Thinking** ويتضمن النشاط العقلى المركب والهادف تعمل على توجيهه رغبة قوية فى البحث عن حلول أو التوصل إلى نواتج أصيلة لم تكن معروفة أو مطروحة من قبل.

١٠ - التفكير التشميبي **Divergent Thinking** يتطلب توليد العديد من الاستجابات المختلفة للسؤال الواحد أو المشكلة الواحدة أو بدائل مختلفة وكثيرة وحلول متنوعة للمواقف والمشكلات المعقدة والصعبة.

١١ - التفكير التجميبي **Convergent Thinking** يتم بواسطة تقليل عدد الأفكار المطروحة إلى فكرة واحدة فقط أو اثنتين تمثلان الأفضل والأدق والأكثر فائدة الإجابة السؤال الواحد المحدد، أو لحل المشكلة المطروحة للنقاش، ويحتاج هذا النوع من التفكير إلى وجود معايير يستطيع الفرد فى ضوءها صنع القرارات المناسبة.

١٢ - التفكير الاستنتاجي **DEDuctive Thinking** ويمثل عملية عقلية يرى فيها الإنسان أن ما يصدق على الكل يصدق أيضا على الجزء.

١٣ - التفكير الاستقرائي **Inductive Thinking** ينقل الفرد أو

المتعلم من الجزء إلى الكل ومن الأمثلة إلى القاعدة ومن الحالات الفرعية الخاصة إلى الأفكار الكلية العامة.

١٤- التفكير الفعال **Effective Thinking** تتبع فيه منهجية سليمة ومحددة وتستخدم فيها أفضل المعلومات من حيث دقتها وكفائتها.

١٥- التفكير غير الفعال **ineffective Thinking** التفكير الذى لا يتبع منهجية واضحة أو دقيقة، ويبنى على مغالطات أو افتراضات باطلة أو متناقضة، أو ادعاءات وحجج غير متصلة بالموضوع، أو إعطاء تعميمات وأحكام متسرفة، أو ترك الأمور للزمن أو الظروف كي تعالجها.

١٦- التفكير الوظيفى **Functional Thinking** يهتم بالعلاقات السببية والأدوار الوظيفية لعناصر النظام، وهو هنا لا يهتم بالبناء الداخلى للشيء، بل يتعامل فقط مع الإطار الخارجى لذلك الشيء لدرجة أنه يهمل العوامل الداخلية له.

١٧- التفكير التأملى **Reflective Thinking** المرتبط بالوعى الذاتى والمعرفة الذاتية، أو التأمل الذاتى والذى يعتمد على التمعن ومراقبة النفس والنظر بعمق إلى الأمور.

١٨- التفكير العلمى **Practical Thinking** وهو ذلك النوع من التفكير الذى يتم توجيهه فى ضوء قضايا أو أمور عملية حياتية.

١٩- التفكير التبريرى **Rational Thinking** يعتمد على مجموعة من المبررات للحصول على المعرفة والتوسع فيها والدفاع عنها.

- ٢٠- التفكير العاطفى **Emotive Thinking** يعتمد على الخبرات التى تمر بها وما تحويه من عواطف وانفعالات وأحاسيس ومشاعر.
- ٢١- التفكير الحدسى أو التخمينى **Intuitive Thinking** يعتمد على التخمين بالدرجة الأولى فهو الأساس فى حل الألغاز أو القضايا دون اهتمام بالمنطق.
- ٢٢- التفكير الجدلى **Dialectical Thinking** يقوم على الجدال الفلسفى.
- ٢٣- التفكير البراجماتى أو النفعى **Pragmatic Thinking** يؤكد على أن الغيات أو الأمنيات التى لا تؤدى إلى جعل الاعتقاد حقيقة واقعة أو أنه يمكن التمسك بها كقيمة.
- ٢٤- التفكير الإحصائى **statistical Thinking** يؤكد على أن الظواهر الإمبرايقيسة أو التجارب العملية الميدانية التى لا يمكن فهمها أو التعرف عليها جيداً إلا من خلال المصطلحات الإحصائية أو من خلال التعامل مع الاحتمالات وليس التأكيدات.
- ٢٥- التفكير الشمولى **Comprehensible Thinking** الذى يستخدم فيه الدليل من أجل الوصول إلى نتائج نهائية عملية إمبريقية وقابلة للتكرار والاختبار والتحقق والتحليل.
- ٢٦- التفكير العقلانى **Reasonable Thinking** الذى يعتمد على السبب من أجل البحث واكتساب المعرفة الموثوق بها.
- ٢٧- التفكير الكمى **Quantitative Thinking** الذى يصف طبيعة الأشياء وواقعها بمصطلحات كمية.

٢٨ - التفكير النوعى **Qualitative Thinking** الذى يصف طبيعة الأشياء وواقعها بمصطلحات نوعية أو كيفية وليس بمصطلحات عددية أو نوعية.

٢٩ - التفكير المغلق أو المتحجر **Close - minded Thinking** هو التفكير الذى لا يرغب صاحبه فى التفكير فقط على الوعى أو الشعور أو السبب، بحيث يسمو الهدف الحقيقى على الإداك، وتظل القيم مصدرأ مهما للتفكير وقد يجمع التفكير الجماعى على مجموعة أو بعض أنماط التفكير السابقة.

٣٠ - التفكير الجماعى: هل سبق لك حضور موقف تناقش فيه جماعة موضوعاً معيناً وفى مجرى الحديث تبين لك أن لديك ما تقوله مخالفاً للرؤية السائدة فى المجموعة ولكنك التزمت الصمت؟ وهل فاجأك لاحقاً العلم بأن آخرين يشاركونك وجهة نظرك قد التزموا الصمت أيضاً؟ إن ما يجرى معك فى هذا المثال ومع كل البشر هو ما يسميه «إيرفنج جانيس» **Irving janis**، بالتفكير الجماعى «**groupthink**».

التفكير الجماعى نمط من محاكمة الحقائق والآراء يتقدم فيه الحفاظ على تماسك المجموعة **cohesiveness** وسيادتها **solidarity** على البحث فى الوقائع بحثاً موضوعياً (Beeb, s. A etal).

٣١ - التفكير الاستعارى: **Thinking Metaphorical** هو التفكير الذى يستخدم الاستعارات فيحول المعانى والأفكار والمجردات إلى صور ذهنية مما يكسيها خصائص حسية تشخيصية

إحيائية، وذلك بالتأليف بين العناصر والمكونات التي تكون مازالت منفصلة على المستوى الواقعي فيتم توحيدها والدمج بينها على مستوى الخصائص الفراسية فأيداع الصور المعبرة عن أعمق ما في الموقف (Arnheim . ١٩٦٩) نقلاً عن محمد عبد اللطيف جاد، (١٩٩٩).

فهو التفكير الذي لا يقنع بالطريقة التقليدية المباشرة التي يعبر بها الأشخاص العاديون عن معنى معين (تعبير حقيقي). فيخرج عن المسيرة والإنصياع إلى مثل هذه الطرق ويتجاوزها إلى طريقة أكثر إقناعاً وتأثيراً، أو يجد أنها تفي بالخصوصية particularity (الخصوصية في الشيء المدرك التي اكتشفها) الذي يريد التعبير عنه، فيلجأ إلى تحريك الأشياء من ثباتها والسماح لشيء معين أن يؤدي إلى شيء آخر (Torrance . ١٩٦٥) فبعد أن كانت الأشياء ذات خصائص طبيعية وظيفية ثابتة تصبح ذات خصائص فراسية Physiognomic فكل ما يمر بذهن الشاعر في تلك اللحظات تختلف معانيه عما هي عليه في الواقع، فالأشياء تتغير دلالتها، ويكتسب التهويم بعد الواقع العملي، ومن هنا تكون الاستعارة هي رؤية لشيء واحد (المستعار إليه) وقد أصبح شيئاً آخر (بما اكتسبه من المستعار) وليست مجرد رؤية للشيئين في وقت واحد، فأبرز خصائص الاستعارة التغير في حدود الواقع. (محمد عبدالمطلب جاد، ١٩٩٩).

كما يرى «أرنهايم» (Arnheim . ١٩٦٩) أن الاستعارة نوع من الجراحات التشكيلية التي يجريها المبدع على المادة الخام لخبرته

(وخبرة الآخرين) فهي ليست مجرد حذف أو إضافة أو تحريف وإنما هي ترك للطريقة المباشرة في نقل الخبرة إلى شكل ، واستبداله بالبحث عن الرموز المكافئة وذلك برفع العناصر من الخبرة المباشرة (التعبير العادى) واستبدالها بالرموز المكافئة (التي يقطعها من كل ما حوله). (أرنهايم، ١٩٦٩ فى محمد عبدالمطلب جاد، ١٩٩٩).

والفنان حين يبحث عن الرمز المكافئ البديل (الذى يحل محل العنصر فى الخبرة المباشرة التقليدية) يبحث عما يوجد من خصائص مشتركة بين المدركات الحسية بالحواس المختلفة من جهة وخبرته المباشرة من جهة أخرى، فيحل المدرك الحسى محل المجرد والمعنوى عبر عمليات التشخيص والإحيائية (إضفاء الحياة على الجمادات) وذلك بالجمع بين الأشياء التى لم يكن يربطها رابط والتى جاءت من مناطق مختلفة للخبرة.

ومن خلال التفاعل بين أكثر من حاسة خلال فعل الإدراك الإبداعى يأتى الإنتاج الإبداعى، ذلك كله عن طريق عمل المخيلة، فهذه العملية (الجراحات التشكيلية بالرموز المتكافئة) هى القادرة على خلق البناء الكلى الذى يعطى الشكل الاستعارى أو المجازى للمبدع.

كما يرى جينكتر أنه ينشأ نوع من الصراع لدى الفنان - بشكل عام - بين قوتين الأولى هى تأثير العالم الخارجى وعاطفته الذين يسعيان للتعبير من خلال موهبته، والثانية: تأثير مادته الوسيطة التى تفتن حواسه وتتحدى مهاراته، ويصبح هناك توتر ناتج عن الصراع القائم

بين الاستبصار الجمالي من جهة والوسائل التكنيكية وخصائص عن الغموض والتردد اللذين يظهران في الكثير من الانتاج الفنى.

ويحاول الفنان إشباع هذين المطلبين ويرى أن هذا الإشباع يتطلب تكييف أحدهما للآخر وعندما لا يستطيع ذلك فإنه ينتج فى النهاية عمليين فنيين تحت مظهر عمل فنى واحد، فلا المادة الوسيطة عبرت عن المضمون وجسدهته وكانت بقدر ما يتطلبه إيضاح المضمون، ولا المضمون نجح فى توظيف المادة الوسيطة واصطنع تشكيلها، ومن هنا أصبح المضمون، ولا المضمون نجح فى توظيف المادة الوسيطة كأنها تتحدث عن ذاتها واقفة فى فراغ مضموني، وفى حالات أخرى يميل الفنان إلى ترجيح الاستسلام إلى المادة الوسيطة بدلاً من الاستسلام لاستبصاراته وذلك لأن المادة الوسيطة لها قوام ونوع من الثبات الوجوديين إضافة إلى تأثيرها الحسى الففان، أما الاستبصارات فهى - عادة - تخمينية مراوغة دائمة الانفلات وعدم الوضوح وعدم القابلية للتحديد، وكثيراً ما تحبط توقعات الفنان حتى عندما تنجح، ومن هنا فإن الموهبة الفنية - خاصة المبتدئة الشابة - تنزع إلى التشبيث بمادتها الوسيطة قبل أن تسلّم نفسها لاستبصاراتها، فإذا أصبحت القيم الصورية (التشكيلية) مهيمنة إلى حد كبير ينزع الفن المترتب عليها إلى أن يكون عقيماً وضحلاً، وينتج الفنانون عند خضوعهم لهذا الباعث الكثير من الأعمال الفنية التى لا تزيد عن كونها تطبيقات لقواعد ما، والتى لا تزيد قيمتها عن كونها مجرد تمارين لاستخدام التكنيكات والقواعد (إرديل جينكتر، د.ت ص ٣١) فى (محمد عبد المطلب جاد، ١٩٩٩).

شكل رقم (١)

شكل توضيحي يبين أنماط التفكير المتعددة والمختلفة

